

سهرة كوميدية مع الحكومة النهرية

« قالوا إنها أقدم حكومة في التاريخ . . وقالوا إنها حتمية وضرورية في
المجتمعات النهرية » .

ونقول - وجعل الله كلامنا خفيفاً على قلبها - إنها سواء أكانت قديمة أم
جديدة ، سواء أكانت ضرورية أم زائدة على الحاجة ، فهي في كل الأحوال شر لابد
منه . . ولما كان كل شرفه جانب من الخير . . فقد يكون من الخير أن نهرم معها في
حذر . . . وأن نقدها في مداعبة . . وأن نضحك معها بعد استئذانها . . والله هو
المنجي !

هذه الكلمات الضاحكة والمضحكة ، التي لانتخلو في ضحكها من خفة الدم ،
ولا تعدم في إضحакها روح الفكاهة ، استهل الكاتب المسرحي « سعد الدين
وهبة » مسرحيته الجديدة أو بالأحرى ثلاثيته المسرحية الجديدة ، التي سماها ،
(سهرة مع الحكومة) . . والتي يعود بها هذا الكاتب إلى بيته الحبيب . . المسرح ،
بعد انشغاله الطويل بعمله في الحكومة . .

والواقع أن جمهور المسرح ونقاده - مهما دارت بهم الأيام ، وطالت بهم
الأعوام - فلن ينسى رحلة « سعد الدين وهبة » عبر التأليف الإبداعي في المسرح ،

ولا تزال في الآذان كلمات مدوية من ثلاثيته الريفية . . (الخروسة ، والسبسة ، وكوبرى الناموس) ، كما لا تزال في العيون مشاهد دامعة من مسرحياته الثلاث (سكة السلامة ، وبر السلم ، وسبع سواقي) التي تشكل فيها بينها ، وعلى الوجه الآخر من قوس الطيف المسرحي ، ما يمكن تسميته بثلاثيته المدنية ، ومالى أنسى مسرحيته التاريخية المعروفة . . (ياسلام سلم . . الحيلة بتكلم) . . التي حقق بها هذا الكاتب نجاحاً فنياً ممتازاً ومتميزاً . .

وأخيراً يعود «سعد الدين وهبه» إلى بيئته المسرحي ، وكما تأثر ألا يعود إلا بالجديد شكلاً ومضموناً ، أما الجديد في الشكل ، فهو قالب المسرحية القصيرة أو المسرحية ذات الفصل الواحد ، وهو القالب الذي يفتقر إليه حصادنا المسرحي ، والذي لا نحاوله الكثرة من كتاب المسرح . والاستثناء هنا بطبيعة الحال هو عميد أدبنا المسرحي «توفيق الحكيم» ، الذي كتب العديد من المسرحيات القصيرة ، ومن بعده «نجيب محفوظ» في حوارياته المسرحية أو محاوراته فوق المسرح ، ومن بعدهما «ميخائيل رومان» ، وعمود دياب ، وشوقي عبد الحكيم .

«سعد الدين وهبه» إذ يعود بشكل المسرحية القصيرة ، أو المسرحية ذات الفصل الواحد ، إنما يكشف عن قدرته على التحكم في هذا الشكل ، ومقدرته على صياغة هذا القالب . بما لا يقل عن قدرته ومقدرته جميعاً في كتابة المسرحية الطويلة أو المسرحية كاملة الطول . ولا غرابة في هذا إذا تذكرنا أنه كان أصلاً واحداً من كتاب القصة القصيرة .

وأما الجديد في المضمون : فهو الجو الحكومي أو الطقس المصلحي الذي استقى منه مضامين هذه السهرة الحكومية ، والذي عاشه «سعد الدين وهبه» وعاشه ، خلال تخرمه الطويل بالعمل في «وزارة الثقافة والإعلام» ، فضلاً عن أقسام

الشرطة ، ووقوفه على أوجه القصور والتقصير في هذه الأجهزة الحكومية ، المحكمة والحكومة في نفس الوقت .

ومن هنا كانت عبارة « سعد الدين وهبه » التي استهل بها عمله المسرحي الجديد . . . « ولما كان كل شرفيه جانب من الخير . . . فقد يكون من الخير أن نسهر معها في حذر . . . وأن نقدحها في مداعة ! » .

فالسهرة مع الحكومة في حذر ، ونقدحها في مداعة ، والضحك معها بعد الاستئذان . هذا هو المناخ الذي أشاعه الكاتب في أرجاء هذه الثلاثية المسرحية ، وإن كان هذا كله ، وعلى حد تعبير المخرج « عبد الغفار عودة » . « من أجل هدف خير ، ألا وهو إعادة بناء الإنسان المصري ! » .

لما الذي نخرج به من هذه السهرة الثلاثية مع الأجهزة الحكومية ؟!

الفصل الأول أو المسرحية القصيرة الأولى عنوانها (بابا زعيم سياسي) ، يقع حدثها الرئيسي فيما قبل الثورة ، وبالتحديد في عام ١٩٤٤ حيث كانت الفوضى السياسية تم البلاد ، حكومة تستقيل وحكومة تقال ، والمظاهرات في الشوارع ، والمنشورات في المصالح ، والقنابل في الأقسام ، والفوضى في كل مكان . وتقع حادثة طارئة في أحد أقسام الشرطة ، عندما يشتهب الأومباشي « مبروك » في أحد المارة ، فيضعه في السيارة العائدة من المحكمة إلى القسم ، ويضيفه إلى المحبوسين الثمانية بعد أن يعامله على أنه محبوس حبساً احتياطياً .

وعبثاً يحاول الأستاذ عبد المهيم أن يعرف تهمته ، وعبثاً يحاول الضابط أن يعرف عنه شيئاً ، عنوانه أو وظيفته أو ما الذي جاء به إلى القسم !! وبعد أن يكتشف الضابط سوء تصرف الأومباشي « مبروك » ، يطلق سراح المتهم ، ولكن المخبر « شعبان » يكون قد عاد لتوه ومعه حقيبة مملوءة بالمنشورات المعادية للحكومة ،

بعد أن فشل في الإمساك بالشاب الذي كان يقوم بتوزيع هذه المنشورات ، وتعلم وزارة الداخلية بخبر هذه المنشورات ، فتأمر الضابط بإرسال الحقيبة والمتم إلى ديوان عام الوزارة .

وبحار الضابط في أمره ، كيف يرسل الحقيبة بدون متهم ؟ إن هذا يعنى إما رفده من الوظيفة أو نقله إلى أسوان . . ولا يجد الضابط أمامه سوى هذا المحبوس على سبيل الخطأ ، والذي كان قد أمر بالإفراج عنه منذ قليل ولم يكن قد غادر بعد قسم الشرطة . وبعد أن يفتح معه محضراً قصيراً يلقى له فيه التهمة ، يرسله إلى الوزارة ، التي ترسله إلى النيابة ، التي تأمر بتقديمه للمحاكمة ، وفي قسم الشرطة من جديد . انتظراً لتقديمه إلى المحاكمة ، يلقى بالأستاذ عبد المهيم ، في الوقت الذي يكاد الضابط والأومباشي والخبر جميعاً يطيرون فيه فرحاً ، انتظاراً للترقية والمكافأة بعد أن تمكنوا من الإمساك بهذا المهييج السياسي الخطير .

وتحدث المفاجأة عندما تسقط الحكومة أمام هياج الجماهير ، وتحل محلها حكومة حزبية جديدة ، يكون من أولى مهامها الإفراج عن المعتقلين السياسيين ، الذين ناضلوا من أجل مجيء هذه الحكومة ، ويتوجه ممثل لجنة الشباب إلى قسم الشرطة ، ليتولى بنفسه الإفراج عن « الأستاذ عبد المهيم » وإبلاغه قرار الحزب بتوليته منصبا سياسياً وقبائياً هاماً ، وهكذا خرج الأستاذ عبد المهيم من قسم الشرطة زعيماً سياسياً معمولاً على الأعناق .

وكان هذا هو ما جاء في مذكراته التي أوصى ابنه « شريف » ألا يفتحها إلا بعد مرور عشرين عاماً على وفاته ، لكي يعرف الابن كيف صار الأب زعيماً سياسياً ! .

والمرحبة كما هو واضح من حديثها الرئيسى محكمة البناء ، ذكية الحوار ، فيها

الدعابة النقدية الساخرة وفيها الضحكة المريرة القاسية ، وفيها بعد هذا كله براعة « سعد الدين وهبه » في تصوير أقسام الشرطة ، وما يجرى داخل هذه الأقسام من علاقات كاريكاتيرية بين المخبرين والعساكر والضباط ، وبينهم وبين المحبوسين . ولقد عرف المخرج « عبد الغفار عودة » كيف يجسد هذا كله ، من خلال الالتزام بالنص دونما خروج عليه ، فالكوميديا نابعة من جوف الموقف ، والفكاهة خارجة من داخل المضمون ، والشخصيات بلسان حالها قادرة على إبلاغ هدف الكاتب . وكان المخرج بالغ التوفيق في اختيار « رشدي المهدي » لدور « الأستاذ عبد المهيم » ، حيث عرف هذا الفنان كيف يجسد أبعاد الدور ، وكيف يحافظ على الخط الرفيع بين الفكاهية والكاريكاتيرية ، وكيف يتحرك بأطراف جسده ويعبر بقسمات وجهه ، بحيث يتطابق هذا كله على ما يقوله من كلام ، وما يصدر عنه من صمت ، كذلك كان « أشرف عبد الغفور » ملائماً تماماً للدور ضابط الشرطة ، متموجاً مع الدور هبوطاً وصعوداً ، معبراً عن عنصر المفاجأة كأروع ما يكون التعبير ، كذلك كان « مرمي الخطاب » في دور المخبر « شعبان » كتلة جسدية متحركة ومعبرة ، وقادرة على تجسيد النموذج التقليدي لشخصية المخبر . أما ديكور « زومر مرزوق » بكل ما فيه من شفافية وشاعرية ، فضلاً عما فيه من رشاقة الخطوط وجماليات اللون ، فلم يكن ملائماً تماماً للتعبير عن أقسام الشرطة ، وخاصة فيما قبل الثورة ، فهو ديكور لا يمت بصلة للواقعية النقدية التي التزمها الكاتب والمخرج وفريق الممثلين !

ونجىء الفصل الثاني في هذه الثلاثية المسرحية بعنوان « زنوبة محمدين » لينقلنا المؤلف إلى مكاتب وزارة الثقافة ، وبالذات مكتب « الأستاذ مجدي » مدير العلاقات العامة بالوزارة ، ويبدأ الحدث بنشر أحد الصحفيين الفنيين المخضرمين ،

لنبا مرض الفنانة المسرحية القديمة «زنوبة محمدين» ، ومدى ما تحتاج إليه من مساعدة تعينها على مرضها ، ووجدتها ، وحياتها البائسة في إحدى الغرف بأحد الأحياء الشعبية ، وتقلب الوزارة رأساً على عقب ، فالوزير يتصل بوكيل الوزارة الذى يتصل بدوره بمدير العلاقات العامة ، ليبلغه قرار الوزير بصرف معونة فورية قيمتها مائة جنيه للفنانة المذكورة ، واتخاذ إجراءات سفرها إلى لندن للعلاج على نفقة الدولة !

ويسقط في يد مدير العلاقات العامة ، فلا هو يعرف شيئاً عن «زنوبة محمدين» هذه ، ولا يدرى أين تسكن أو أين تقيم ، ويتصل بعميد المسرح العربى «يوسف وهبى» فيحكى له عن ماضيها العريق ومجدها الغابر في «فرقة رمسيس» ولكن الفنان العميد لا يدرى عن حياتها الحاضرة أى شىء ، فلا يجد أمامه سوى الاتصال برئيس مباحث قسم الأربكية الذى يدلّه على عنوانها . ويفاجأ في مكتبه بالعلامة «زنوبة محمدين» تاجرة المخدرات ، دون أن يتعرف على حقيقتها ، وبعد أن يتخذ مساعداه «سمير» و«عزيز» إجراءات سفر زنوبة محمدين «للعلاج في لندن ، يفاجأ للمرة الثانية بامرأة عجوز تدخل مكتبه حاملة الجريدة التى نشرت قرار السيد الوزير ، بمنحها معونة قيمتها مائة جنيه ، وبسفرها إلى الخارج للعلاج على نفقة الدولة ، ولا يكاد يصدقها حتى تندمج في أداء دورها الشهير في فرقة رمسيس أمام «يوسف وهبى» .

ويبدأ يشك في الموقف كله ، ولكنه يتغلب على الشك بطرد هذه السيدة من مكتبه ، وكتّان الخبر ، ولكن المفاجأة الثالثة تحدث عندما تموت «العلامة زنوبة» في لندن ، ويصبح على وزارة الثقافة أن تعيد جثمانها إلى القاهرة ، وأن تقيم لها جنازة مهية تليق بماضيها العريق . وتحدث المفاجأة الرابعة عندما يدخل رئيس

المباحث ليخبر السيد مدير العلاقات العامة بأن « زنوبة محمددين » هذه التي سافرت على نفقة الوزارة هي أكبر تاجرة مخدرات ، وأن عليها حكماً مع إيقاف التنفيذ ، وتكون المفاجأة الأخيرة عندما يعلم أن الفنانة « زنوبة » مشت في جنازة في المعلمة « زنوبة » ، صارخة مولولة ، تحاول أن تكشف للجواهر عن شخصيتها الحقيقية ، ولكن الجواهر عاملتها كالمجنونة ، وانتهى بها الأمر إلى مستشفى الأمراض العقلية . والمسرحية كما هو واضح من حدثها الرئيسي ، ومما ترتب عليه من مفاجآت كوميدية . تكشف هي الأخرى عن ذكاء الكاتب « سعد الدين وهبه » ، وعن قدرته في إدارة الحوار ، وهو الحوار المملوء بالتهكم والسخرية ، المعبر عن الموقف الكوميدي الحافل بالمفارقة المريرة . وقد تكون المفارقة كاريكاتيرية أكثر مما واقعية . ولكن الكاتب عرف كيف يحافظ على عنصر الإيهام الفني ، الذي يؤدي إلى الإقناع المطلوب .

وكان توفيق الخرج « عبد الغفار عودة » هنا معادلاً لتوفيقه هناك ، سواء من حيث القدرة على تفجير الكوميديا من جوف الموقف أو من باطن الشخصيات ، فضلاً عن سرعة الإيقاع ، وعن المهارة في رسم الحركة المسرحية ، وعن الاختيار الملائم لمجموعة الممثلين الذين تباروا في تجسيد هذه المسرحية ، وفي مقدمتهم الفنان « محمود الحديني » الذي قام بدور « الأستاذ مجدى » ، فكشف عن موهبة في الأداء الكوميدي ، لا تقل عن موهبته في الأداء التراجيدي . وكان بحق مركز الإشعاع الكوميدي النظيف في الفصل الثاني كله ، على العكس من الممثل « عبد المحسن سليم » الذي كان يفتعل الأداء الكوميدي ويتصنعه ، ويبدو أنه لم يكن هو الملائم تماماً لهذا الدور ، أما « أشرف عبد الغفور » فكان موفقاً في حدود دوره ، دور رئيس المباحث ، كذلك وفقت الممثلة الناشئة « نهر أسين » في دور « زنوبة » ، وعرفت

كيف تملأ فراغ هذا الدور ، وتفجر أبعاده ، لولا ما يشوبها من المبالغة في الأداء ، أما « فتحية طنطاوى » فلم تكن هى الملائمة تماماً لدور « سامية الصحفية » ، كانت بالفعل خارج الدور .

ويعتقد ما أخفق الفنان « زوسر مرزوق » في ديكور الفصل الأول ، كان موقفاً في ديكور هذا الفصل ، صحيح أن التصميم المعارى هو هو ، ولكن جاليات الديكور التى لم تكن في خدمة مكتب ضابط قسم الشرطة ، يمكن أن تكون في خدمة مكتب مدير العلاقات العامة بوزارة الثقافة . وإن كنت لا أجد مبرراً لوضع التماثيل المصرية القديمة فوق الأرض ، وفي زوايا غرفة المكتب ، إن التماثيل توضع عادة في الأعلى ، وفي المكان البارز حتى يراها الجميع .

أما المسرحية الثالثة والأخيرة فبعنوان « وظيفة واحدة تكفى » وهى تنطلق من القانون الذى صدر بعدم الجمع بينوظيفتين بهدف إتاحة الفرصة أمام الكل لشغل الوظائف الحكومية ، ولكن القانون سرعان ما يتحایل عليه الأقوياء لكى لا ينطبق إلا على الضعفاء فحسب ، فها هو « الأستاذ شوكت المهندس » الذى يشغل أكثر من وظيفة ، وبالتحديد سبع وظائف ، يعرف كيف يتحایل على القانون ، وكذلك (الأستاذ) « عصام » الطبيب الذى يشغل ثلاث وظائف ، يعرف هو الآخر كيف يتحایل على القانون ، أما « عبد المولى » عامل السويتش الغلبان الذى يعمل بعد عمله في المحافظة في إحدى دور السينما ، فهو الذى يقع تحت طائلة القانون ، بل أكثر من هذا تفصله المحافظة من وظيفته في الوقت الذى تنقله مؤسسة السينما من وظيفته ، فلا تكون له أية وظيفة على الإطلاق . وعبثاً تحاول « زوجته حميدة » أن تستعطف المحقق ، وتشرح له مدى الفقر الذى تعيش فيه هى وزوجها وأولادها ،

ولكن القانون هو القانون ، وأخيراً لا مملك « عبد المولى » إلا أن يهتف وهو في شبه
ذهول : « نحت ونحيا القانون » .

والمرحبة الأخيرة أو الفصل الأخير في هذه الثلاثية المسرحية ، هو أروعها على
الإطلاق ، سواء من حيث الحكمة المسرحية ، أو الحوار الكوميدي ، أو البراعة في
رسم الشخصيات ، فضلاً عن المضمون الإنساني في سخرية ، الفكاهي في مرارة
الذي يبرع الفنان الكبير « شفيق نور الدين » في تجسيده فوق المسرح ، من خلال
أدائه الطبيعي الذي هو مثال رائع لما يسمى بالأداء السهل الممتنع ، إنه ومضة من
ومضات ذلك الفنان العملاق ، الذي ظلما أثرى حياتنا المسرحية .

كذلك وفقت « فتحية طنطاوي » في أداء دور « حميدة » . الذي جسده
بوعى وبراعة ، وعرفت من خلاله كيف تفجر طاقتها التمثيلية فوق المسرح .

وبمقدار ما برع المخرج « عبد الغفار عودة » في الفصلين الأولين ، كذلك برع في
هذا الفصل الأخير ، وإن كنت لا أجده مبرراً عضوياً للربط بين الفصول الثلاثة من
خلال عامل السويتش ، ألم يكن ذلك الربط ربطاً سطحياً ومن الخارج ، دون أن
تكون له وظيفة عضوية في مضمون العمل المسرحي .

كذلك لم يكن الربط الموسيقي بين الفصول الثلاثة من خلال الأداء الحزين
لنشيد « بلادي بلادي » مبرراً بما فيه الكفاية ، وخاصة في هذا الجو الكوميدي ،
ألم تكن المسرحية بفصولها الثلاثة تحتاج إلى موسيقى تعبيرية منبعثة من داخل العمل
بدلاً من أن تكون مقحمة عليه من الخارج - فضلاً عن تكرار استخدام هذه
الموتيفة الموسيقية بالذات في أكثر من عمل مسرحي .

عموماً كانت سهرة ممتعة مع الحكومة ، أو بالأحرى مع فناني حكومة المسرح

القومي !!